

كأيات كليله ودمته

1

ففي خدمة الأسد



تأليف: أ. محمد الحميد عبد الصمد

ترجمة: أ. محمد الحميد عبد الصمد

مراجعة: أ. محمد الحميد عبد الصمد

المؤسسة العربية الحديثة

الطبعة الأولى: ٢٠١٢

عدد الصفحات: ١٠٠

الطبعة: ٢٠١٢

جلس الملك (دبشليم) ينصت باستمعناع إلى حديث وزيره ومستشاره
 الحكيم (بيدبا) الفيلسوف ..
 وأخذ (بيدبا) يحدثه عن الصداقة والاصدقاء ، وحقوق كل صديق على
 صديقه ، واجباته نحوه ، حتى تدوم الصداقة بينهما ..
 وكيف أن الصديق الحقيقي - إذا اخلص لصديقه يكون أصفى من
 الاخ الشقيق ، ويحق للإنسان أن يأتمنه على أدق أسرار حياته ؟
 ولماذا يتعين على المرء أن يثق في اختيار أصدقائه ، لأن الصديق
 الخير يهذى إلى طريق الحق ؟
 وكيف أن الصديق المخلص يكون كالعملة النادرة التي تزداد قيمتها
 على مر الأيام ، ولذلك لا ينبغي التفريط فيها بسهولة ؟



فَلَمَّا انْتَهَى (بَيْدَبَا) الْفِيلَسُوفُ مِنْ كَلَامِهِ نَظَرَ إِلَيْهِ (دَبْشَلِيمُ)
الْمَلِكُ قَائِلًا :

- قَدْ تَحَدَّثْتَ فَأَجَدْتُ الْحَدِيثَ عَنِ الصَّدَاقَةِ وَالْأَصْدِقَاءِ ..
وَالْآنَ أُرِيدُ مِنْكَ أَيُّهَا الْحَكِيمُ أَنْ تَضْرِبَ لِي مَثَلًا لِصَدِيقَيْنِ
خَمِيمَيْنِ مُتَحَابِّينِ ، يُوقَعُ بَيْنَهُمَا حَاسِدٌ كَذُوبٌ مُخْتَالٌ ، حَتَّى
تَتَحَوَّلَ صَدَاقَتُهُمَا إِلَى شَحْنَاءٍ ، وَعَدَاوَةٍ وَبَغْضَاءٍ ..

فَقَالَ (بَيْدَبَا) الْفِيلَسُوفُ :

- إِذَا أَوْقَعَ شَخْصٌ حَاسِدٌ كَذُوبٌ مُخْتَالٌ بَيْنَ صَدِيقَيْنِ
خَمِيمَيْنِ مُتَحَابِّينِ ، أَحَالَ صَدَاقَتَهُمَا وَمَحَبَّتَهُمَا إِلَى
عَدَاوَةٍ وَبَغْضَاءٍ ، وَأَثَارَ بَيْنَهُمَا الشَّحْنَاءِ ، فَتَنَقَّطَ
صَدَاقَتُهُمَا ، وَيَتَحَوَّلُ كُلُّ مَبْهُمَا إِلَى غَدُوٍّ لِلْآخَرِ .. وَأَنَا
أَضْرِبُ لَكَ مَثَلًا لِذَلِكَ فِي قِصَّةٍ ، عَسَى أَنْ تَكُونَ فِيهَا
الْعِظَةُ وَالْعِبْرَةُ ..



مُنْذُ زَمَنٍ بَعِيدٍ كَانَ لِرَجُلٍ ثَلَاثَةُ أَبْنَاءٍ ..

كَانَ الرَّجُلُ قَدْ صَارَ شَيْخًا ، وَكَانَ لَهُ مَالٌ كَثِيرٌ ..

وَكَانَ أَبْنَاؤُهُ قَدْ بَلَغُوا سِنَ الرِّشْدِ ، وَبِرَغْمِ ذَلِكَ لَمْ يَكُنْ أَحَدُهُمْ قَدِ احْتَرَفَ حِرْفَةً ، أَوْ تَعَلَّمَ صِنْعَةً يَتَكَسَّبُ مِنْهَا ، فَأَخَذُوا يُتَفَقِّحُونَ مِنْ مَالِ آبِيهِمْ ، حَتَّى كَسَادُوا يُقْنُونَهُ ..

فَلَمَّا رَأَى الْآبُ أَبْنَاءَهُ عَلَى هَذِهِ الْحَالِ ، لَمْ يَنْجِبْهُ مِنْهُمْ ذَلِكَ ..

وَلِذَلِكَ جَمَعَهُمْ وَقَالَ لَهُمْ :

- إِنَّ كُلَّ إِنْسَانٍ عَاقِلٌ فِي هَذِهِ الْحَيَاةِ ، عَلَيْهِ أَنْ يَسْتَعِيَ إِلَى تَحْقِيقِ ثَلَاثَةِ أَهْدَافٍ :
سَعَةً فِي الرِّزْقِ ، وَمَنْزِلَةً مُحْتَرَمَةً بَيْنَ النَّاسِ ، وَعَمَلٌ خَيْرٌ مِنْ أَجْلِ الْآخِرَةِ ..



فقال الابن الأكبر :

- صدقت يا أبى .. هذا ما يجب أن يسعى إليه كل عاقل فى هذه الحياة ..

واستمر الأب قائلاً :

- ولكنى يحقق المرء هذه الأهداف فإن عليه أربعة واجبات يجب أن يقوم بها : اكتساب المال بالحلال .. ثم استثمار هذا المال وحسن القيام عليه حتى ينمو .. ثم إنفاقه فيما يصلح المعيشة ، ويقوم بحاجة الأهل والإخوان والمحتاجين ، فيعود عليه نفعه فى الدنيا والآخرة ..

فقال الابن الأوسط :

- هذا حق يا أبى ..





وأضاف الأب شارحاً :

- فمن لا يعمل لن يكون له مال يعيش منه .. ومن اكتسب المال ، ولم يحسن القيام عليه ضاع المال ، وبقي صاحبه بلا مال .. ومن اكتسب المال ولم يستثمره حتى ينميه ويكثره ، فقد المال حتى ولو كان ينفق منه بحرص وحذر .. ومن كان له مال ولم ينفعه من أجل نفع الدنيا والآخرة ، كان كالفقير المغدوم ، الذي لا مال له .. فقال الابن الأصغر :

- قد أحسنت يا أبي .. يجب على كل منا أن يبحث لنفسه عن مهنة يتكسب منها رزقه .

وقال الابن الأكبر :

- أنا سأنتقل إلى أرض (ميون) لأجرب حظي هناك ..

فوافق الأب ، ودعا له بالسلامة والرزق ..

تجهزُ الاثنَ الأكبرَ للسفر ، وانطلقَ مع بعضِ اصدقائه
في مركبةٍ يجرها ثوران ، احدهما كان يُسمى (شبرية)
والآخرُ كان يُسمى (بديّة) ..

ومرتِ المركبةُ في طريقها بمكانٍ مُوحلٍ ، فيه طينٌ كثيرٌ
لَزَجٌ ، فغاصتْ أَقْدَامُ (شبرية) في الطين وسقطَ فيه ..

وحاولَ الاثنَ الأكبرُ وأصدقاؤه أَنْ يَخْرِجُوا الثورَ مِنْ
الطينِ ، فَلَمْ يَقْلِحُوا .. وَلَمَّا يَبْسُوا مِنْ ذَلِكَ ، قَالَ الاثنَ
الأكبرُ لأحدِ اصدقائه :

- سننقضي نحنُ في طريقنا بالمركبةِ بثورٍ واحدٍ
هو (بديّة) وَتَبْقَى أَنْتَ هُنَا لحراسةِ الثورِ (شبرية)
حتى يجفَّ الطينُ مِنْ حَوْلِ أَقْدَامِهِ ، فَتُخْرِجُهُ
وَنُلْحِقَ بِنَا فِي
(ميون) ..



وَأُطْلِقَ الْإِبْنُ الْأَكْبَرُ بِالْمَرْكَبَةِ مَعَ بَقِيَّةِ أَصْدِقَائِهِ ، بَيْنَمَا بَقِيَ
ذَلِكَ الصَّدِيقُ الَّذِي غِيَنَهُ لِحِرَاسَةِ الثَّوْرِ (شَيْثْرِيَّة) ..

فَلَمَّا بَاتَ الصَّدِيقُ لَيْلَتَهُ فِي حِرَاسَةِ الثَّوْرِ ، شَعَرَ بِالنَّصِيقِ
وَتَبَرَّمَ مِنْ وَحْشَةِ الْمَكَانِ ، فَتَرَكَ الثَّوْرَ فِي الْوَحْلِ ،
وَأُطْلِقَ ، حَتَّى لَحِقَ بِالْإِبْنِ الْأَكْبَرِ وَأَصْدِقَائِهِ ، فَاحْتَبَرَهُمْ
أَنَّ الثَّوْرَ قَدْ مَاتَ ..

أَمَّا الثَّوْرُ (شَيْثْرِيَّة) فَإِنَّهُ عِنْدَمَا وَجَدَ نَفْسَهُ وَحِيدًا بِلا
أَنْيَسٍ أَوْ رَفِيقٍ ، أَخَذَ يُجَاهِدُ مُحَاوَلًا حَتَّى اسْتَطَاعَ
أَنْ يُخَلِّصَ أَقْدَامَهُ مِنَ الطِّينِ اللَّزْجِ .. ثُمَّ انْطَلَقَ
يَبْحَثُ عَنْ طَعَامٍ ، فَوَجَدَ مَرْجًا وَاسِعًا فِيهِ عُشْبٌ
أَخْضَرٌ ، وَجَدُولٌ مَاءٍ عَذْبٍ ، فَاخَذَ يَأْكُلُ حَتَّى شَبِعَ ،
ثُمَّ شَرِبَ ، حَتَّى ارْتَوَى ..



وَأَقَامَ (شَتْرِبَةً) فِي الْمَرْجِ حَتَّى سَمِنَ وَأَمِنَ مِنَ الْخَوْفِ ..
ثُمَّ أَخَذَ يَخْوَرُ وَيَرْفَعُ صَوْتَهُ بِالْخَوَارِ ..

وَكَانَ قَرِيبًا مِنَ الْمَرْجِ غَابَةُ صَغِيرَةٌ ، فِيهَا أَسَدٌ ضَخْمٌ عَظِيمُ
الْهَيْبَةِ ، وَقَدْ تَلَعَّتْ حَوْلَهُ السَّيْبَاعُ وَالذَّنَابُ وَالْجُعَابُ وَالْفُهُودُ
وَالنَّمُورُ وَبَنَاتُ أَوَى وَغَيْرُهَا مِنَ الْحَيَوَانَاتِ الضَّوَارِي وَالْوَحُوشِ
الْكُؤَاسِرِ ..

وَكَانَ الْأَسَدُ مُلْكًا عَلَى كُلِّ هَذِهِ الْحَيَوَانَاتِ ، يَأْمُرُ وَيَنْهَى كَيْفَ
شَاءَ ، وَالْجَمِيعُ يَأْتِمِرُونَ بِأَمْرِهِ وَيَطِيعُونَهُ خَوْفًا مِنْهُ ، وَيَأْتُونَهُ
بِطَعَامِهِ كُلَّ يَوْمٍ خَوْفًا مِنْهُ ..



وكان الأسد مقبلا في منزله ، لا يفرجة أبدا ، ولم يفر قد رأى
نورا قبل ذلك ، ولا سمع صوتة ، فخاف في نفسه ، وتعجب من
هذا الصوت الغريب المذوي الذي سمعه ، لكنه لم يحاول أن
يتفكر ذلك لمن حوله من الوحوش ، حتى لا تحقر جهلة ، ولا
تغرد شياطة ..

وكان من جملة خدام الأسد وأتباعه المخلصين
حيوانان من بنات اوى ، احدهما هو (كيلة) والآخر
هو (دمنة) ..

كان (كيلة) و (دمنة) لا يفرحان باب الأسد ، وكان
كل منهما ذا دهاء وذكاء ، وعلم وحكمة ..



فقال (بمئة) لأخيه (كليلة) :

- ألم تلاحظ يا أخى أن الأسد مقببٌ بامتصاصه
فى منزله ، لا يبرزه أبداً ؟ يجب أن ننصحه بالخروج
من منزله حتى يرى الدنيا ..
فقال له (كليلة) مستنكراً :

- من نكون نحن حتى نسأل هذا السؤال ، وننحسب
فيما يجب على ملكنا أن يفعله أو لا يفعله ؟ لسنا
وزيرين ولا مستشارين مقربين من الأسد ، حتى نناقش
هذا الأمر .. ما نحن إلا خادمين مطيعين ، وحارسين
يقظان بباب الملك ، نفعل فقط ما يأمرنا به ..
فقال (بمئة) :

- اعرف ذلك يا أخى ، ولكن على المرء أن يسعى
ليرتفع من منزلته الوضيعة ، إلى منزلة رفيعة ، يسر بها
الصديق ، ويكيد العدو ..



فَقَالَ (كَلِيلَةُ) نَاصِحًا :

- إِنَّ لِكُلِّ إِنْسَانٍ مَنْزِلَةً وَقَدَرًا وَشَأْنًا ، وَعَلَيْهِ أَنْ يَقْنَعَ بِهَا ، لِأَنَّ
مَنْ نَظَرَ إِلَى مَنْ هُوَ أَعْلَى مِنْهُ أَثَغِبَ نَفْسَهُ ، وَتَغَصَّنَ عَيْشَهُ ..
فَقَالَ (إِمْنَةُ) :

- كَمْ مِنْ وَضِيعٍ ارْتَفَعَ إِلَى أَعْلَى الْمَرَاتِبِ ، وَكَمْ مِنْ رَفِيعِ الْمَقَامِ
هَوِيَ مِنْ غَلِيَابِهِ .. الْمَرْءُ يَا أَخِي تَرْفَعُهُ مَرْوَعَتُهُ مِنَ الْمَنْزِلَةِ
الْوَضِيعَةِ إِلَى الْمَنْزِلَةِ الرَّفِيعَةِ .. وَمَنْ لَا مَرْوَعَةَ
لَهُ يَحْطُ نَفْسَهُ مِنَ الْمَنْزِلَةِ الرَّفِيعَةِ إِلَى
الْمَنْزِلَةِ الْوَضِيعَةِ .. وَنَحْنُ بِمَرْوَعَتِنَا أَحَقُّ
بِالْمَنْزِلَةِ الرَّفِيعَةِ ..
فَقَالَ (كَلِيلَةُ) :

- تُرِيدُ أَنْ تَتَقَرَّبَ مِنَ الْأَسَدِ ، حَتَّى
يَقْلُدَكَ مِنْصَبًا رَافِعًا ، أَوْ يَجْعَلَكَ
أَحَدَ مُسْتَشَارِيهِ ؟
وَقَالَ (إِمْنَةُ) :

- هَذِهِ فُرْصَتُنَا ، وَبِحَبِّ الْإِثْنَيْعَهَا ..



فَقَالَ (كَلِيلَةُ) مُسْتَشْكِرًا :

- كَيْفَ تَطْمَعُ فِي ذَلِكَ ، وَلَسْتُ بِصَاحِبِ سُلْطَانٍ
أَوْ مَرْكَزٍ كَبِيرٍ !!

وَقَالَ (بِمَنَّةُ) :

- الرَّجُلُ الشَّدِيدُ الْقُوَى لَا يُعْجِزُهُ الْحِمْلُ الثَقِيلُ .. الْمُهْمُ
أَنْ أَكُونَ قَرِيبًا مِنَ الْأَسَدِ ..

فَقَالَ (كَلِيلَةُ) نَاصِحًا :

- ثَلَاثَةُ أُمُورٍ لَا يَجْرُؤُ عَلَى الْإِقْدَامِ عَلَيْهَا إِلَّا أَهْوَجُ ،
وَلَا يَنْجُو مِنْهَا إِلَّا قَلِيلٌ : صُحْبَةُ السُّلْطَانِ ، وَاتِّبَاعُ الْأَحْفَقِ
عَلَى الْأَسْرَارِ ، وَالْإِقْدَامُ عَلَى شَرْبِ السَّمِّ لِجَرَبَتِهِ ..
فَقَالَ (بِمَنَّةُ) :

- صَدَقْتَ ، لَكِنَّ الرَّجُلَ الْفَاضِلَ لَا يَجِبُ أَنْ يَرَى

إِلَّا فِي أَحَدٍ مَخَافَتَيْنِ : إِذَا مَعَ الْمُلُوكِ مُخْرَمًا ، وَإِذَا مَعَ
الْمُتَّقِينَ مُتَعَبِدًا لِلنَّاسِ ذَاكِرًا ..



وحاولَ (كَلْبِلَةُ) جَاهِدًا أَنْ يَرُدَّ أَخَاهُ (بِمَنَّةَ) عَنْ رَغْبَتِهِ
فِي التَّقَرُّبِ مِنَ الْأَسَدِ وَمُصَادَقَتِهِ ، لَكِنْ (بِمَنَّةَ) جَعَلَ أَذُنًا مِنْ
طِينٍ ، وَأَذُنًا مِنْ عَجِينٍ ، فَلَمْ يَسْتَمِعْ إِلَى نَصَحَتِهِ ، وَانْطَلَقَ إِلَى
دَاخِلِ الْمَنْزِلِ لِلِقَاءِ الْأَسَدِ ..

اسْتَأْذَنَ (بِمَنَّةَ) وَدَخَلَ عَلَى الْأَسَدِ ، فَسَلَّمَ عَلَيْهِ ، فَنَظَرَ إِلَيْهِ
الْأَسَدُ مُسْتَعْجِلًا ، وَنَظَرَ إِلَى بَعْضِ جَلَسَانِهِ قَائِلًا :
- مَنْ هَذَا الشَّخْصُ ؟

فَأَجَابَهُ أَحَدُ جَلَسَانِهِ قَائِلًا :

- إِنَّهُ (بِمَنَّةَ) ابْنُ فُلَانٍ ..

فَالْتَفَتَ الْأَسَدُ إِلَى (بِمَنَّةَ) قَائِلًا :

- كُنْتُ أَعْرِفُ أَبَاكَ .. إِيْنِ أَلَيْتَ الْآنَ ؟



فَقَالَ (دِمْنَةُ) :

- أَنَا مِنْ خِدْمَتِكَ الْمُخْلِصِينَ أَيُّهَا الْمَلِكُ الْعَظِيمُ ، وَلِذَلِكَ قَامْنَا
مُلَازِمُ لِيَابِكَ لَيْلَ نَهَارٍ ، رَجَاءُ أَنْ نَحْتَاجَ إِلَى فِى أَمْرٍ خَطِيرٍ أَوْ مَشْهُورَةٍ ،
فَأَعْيِيكَ فِيهِمَا بَرَأْيِي ، أَوْ أَبْذُلُ لَكَ نَفْسِي ..

فَظَنَّ الْأَسَدُ أَنَّ لَدَى (دِمْنَةَ) نَصِيحَةً أَوْ رَأْيًا مُفِيدًا جَاءَ يُشِيرُ
عَلَيْهِ بِهِ ، وَلِذَلِكَ التَفَتَ إِلَى جُلُوسَاتِهِ قَائِلًا :

- إِنَّ الْعَالَمَ الْحَقِيقِيَّ ، ذَا الْمُرُوءَةِ وَالْمَشُورَةِ وَالرَّأْيِ غَالِبًا مَا يَكُونُ
مُعْظَمُورًا ، لَا يَغْرِقُهُ أَحَدٌ ، لَكِنْ يَبْدُو أَنْ مَسْرُورَةً (دِمْنَةُ) قَدْ أَنْ لَهَا
الْأَوَانَ ، حَتَّى تَعْلُو وَتَرْتَفِعَ ..

فَلَمَّا أَدْرَكَ (دِمْنَةُ) أَنَّ الْأَسَدَ قَدْ أَعْجَبَ بِهِ قَالَ :

- هَذَا يَزِيدُنِي إِصْرَارًا عَلَى خِدْمَتِكَ أَيُّهَا الْمَلِكُ ، وَثِقْ بِأَنَّنِي لَنْ
أَقْصَرَ فِي ذَلِكَ الرَّأْيِ النَّافِعِ وَالْمَشُورَةِ الصَّادِقَةِ لَكَ ..
فَقَالَ الْأَسَدُ :

- هَذَا مَا أَمَلْتُ ..



وَيَبْدُو أَنْ (دِمْنَةً) قَدْ رَأَى نَظَرَاتِ الْحَسَنِ فِي أَغْيُنِ الْحَاضِرِينَ ،
فَأَرَادَ أَنْ يُخَرِّقَهُمْ أَنْ مَا نَالَهُ مِنْ إِكْرَامِ الْمَلِكِ لَهُ ، يَرْجِعُ إِلَى عِلْمِهِ
وَعَقْلِهِ ، وَلَيْسَ لِأَنَّهُ كَانَ يَعْرِفُ أَبَاهُ فَقَالَ :

« إِنَّ الْمَلِكَ لَا يَقْرُبُ النَّاسَ مِثْلَ لِمَعْرِفَةِ آبَائِهِمْ وَقُرْبِهِمْ
مِثْلَهُ ، لَكِنَّهُ يَنْظُرُ إِلَى كُلِّ رَجُلٍ بِمَا عِنْدَهُ ، وَبِمَا هُوَ أَهْلٌ لَهُ ..

وَيَنْظُرُ إِلَى مَذَى مَا يَبْنِيهِ لَهُ مِنْ رَأْيِ صَائِبٍ وَمَشُورَةٍ نَافِعَةٍ
فَلَمَّا انْتَهَى (دِمْنَةً) مِنْ كَلَامِهِ ، زَادَ الْأَسَدُ فِي إِكْرَامِهِ ،
وَقَرِيْنَهُ مِثْلَهُ فِي مَجْلِسِهِ ، وَأَعْدَقَ عَلَيْهِ الْهَدَايَا ، وَأَصْبَحَ
يَسْتَشِيرُهُ فِي كُلِّ أَمُورِهِ ، وَلَا يَسْتَعْنِي عَنْ مَجَالِسَتِهِ ..

وَهَكَذَا التَّحَقَّقَ (دِمْنَةً) بِخِدْمَةِ الْأَسَدِ ، فَكَيْفَ سَارَتِ الْأُمُورُ
مَعَهُ ؟ وَهَلْ يُوفَّقُ فِي بَدْلِ الرَّأْيِ وَالْمَشُورَةِ لِلأَسَدِ ، أَمْ أَنَّهُ
سَيَكُونُ لَهُ رَأْيٌ آخَرُ ؟

(تَمَّتْ)

الكتاب القادم : الأسد والثور

رقم الطبع : ٣٩٥٠٠

الطبعة الأولى : ٢٠١٠ م ١٤٣٢ هـ

